وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحمدانية

كلية التربية

قسم اللغة العربية

الشخصية الرئيسة في رواية (مفقود) لـ حيدر حيدر

بحث تخرج تقدمت به الطالبة:

سوزان أحمد محمود صالح

وهو جزء من متطلبات نيل درجة البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها

بإشراف:

الأستاذ الدكتور عمار أحمد عبد الباقي الصفار

2020هـ 1441م

المقدمة

تعد الرواية من الفنون الأدبية النثرية الحديثة التي عرفها العرب بدايات القون العشرين، وكان لها القبول الكبير فأخذت بالانتشار وصارت محط اهتمام عدد كبير من الكتاب، وعدد أكبر من القراء. لقد دفعتني رغبتي بالاطلاع على عالم الرواية إلى أن اختار – من بين عدد كبير من الروايات– رواية (مفقود) للروائي العربي السوري حيدر حيدر بعد ان اقترحها علي مشرفي الأستاذ الدكتور عمار أحمد الصفار؛ لأني وجدت فيها خصوصية وأهمية من حيث تناولها لموضوع هو من أهم مواضيع الواقع الذي تعيشه، ألا وهو الحروب الداخلية التي تعيشها بلداننا والأزمات الإنسانية الكبيرة التي تولدت عن هذه الحروب، فكانت الشخصية (الإنسان) هي محور العناية بالدرس والتحليل والشخصية الرئيسة تحديدا لأنها محورية وقادرة على التعبير عن الموضوع الإنساني.

جاء بحثي بفصل واحد تضمن مباحث ثلاثة صبت الاهتمام كله على الشخصية الرئيسة وهي كالآتي:

المبحث الأول : الشخصية الرئيسة من الخارج

المبحث الثاني: الشخصية الرئيسة من الداخل

المبحث الثالث: الشخصية الرئيسة وموقفها من الأحداث

وقد تناول البحث ضمنا دور الراوي والشخصيات الثانوية، والوصف والحوار في تقديمها.

لقد واجهت البحث صعوبات جمة ابتداء من صعوبة الحصول على المصادر في هذا الظرف الحياتي الصعب، وانتهاء بالظرف العام المؤثر تأثيرا سلبيا في مجرى الحياة نفسها، فبعد الانقطاع عن الدوام بسبب الظروف السياسية التي يعيشها بلدنا العراق الحبيب، مررنا بالأزمة الصحية العالمية، وكل الظروف محددة للحركة فضلا عن ما أسقطته على نفسية الطالب من شعور بالإحباط، ولكن لله الحمد بذلت الجهد الممكن لتجاوزها. وربما صحت مقولة رب ضارة نافعة، فقد اعتمدت على ما أملك من خبرة متواضعة بعيدا عن تكرارات المصادر الكثيرة، ولاسيما في تحليل النصوص المنتخبة من الرواية قيد الدرس (مفقود)

لقد وظف البحث في تحليله للرواية منهجا تكامليا فأفاد من كل المناهج للوصول إلى الغاية النهائية وهي الاطلاع على الشخصية الرئيسة اطلاعا واسعا.

ولا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل لمشرفي الأستاذ الدكتور عمار أحمد الصفار لما بذله من جهد عظيم سواء في تدريسي مادة النثر العربي الحديث التي أضاءت لي الكثير من العتمة في الدرس الأدبي، أو في إشرافه على البحث، فقد كان نعم الموجه الحريص والدقيق، والشكر

موصول لكل من درسني في حياتي وأفاض علي بالفضل الذي لن أنساه، وأخص بالذكر أساتيذي في قسم اللغة العربية العتيد.. فجزاهم الله خير الجزاء.

ولعل خير ما أختم به هذه المقدمة اعترافي بقصوري وقلة حيلتي وضيق أفق معرفتي وأنا في بداية طريق البحث الطويل الواسع، فما كان من صواب بفضل الله وما كان من تقصير فأتحمله أنا ولله الكمال وهو ولي التوفيق.

الطالبة: سوزان أحمد

التمهيد

أ- الشخصيات:

إن الشخصية في الأعمال السردية على نحو عام عنصر أساس، في وسيلة العمل وغايته والشخصية في ابسط تعريفاتها (احد الافراد الخياليين او الواقعيين الذين تدور حولهم احداث القصة)[1] .

فـ ... (هي موضوع القضية السردية بما انها كذلك فهي تختزل الى وظيفة تركيبية محضة ، بدون أي تحول دلالي، فضلا عن الاحداث التي تلعب الصفات في قضية دور المحمول وانها ليست مرتبطة بالفاعل الا بصفة مؤقتة، وسيكون من اللائق مطابقة الفاعل بالاسم الخاص الذي يظهره في اغلب الحالات بالقدر الذي لا يعمل الاسم إلاّ على مطابقة وحدة زمنياً ومكانياً من دون وصف خصيتها)[2] .

والشخصية – على نحو عام – يمكن تقسيمها الى ايجابية وسلبية، وهويتها موزعة في النص عبر الاوصاف والخصائص التي تخبرنا عنها الشخصيات الاخرى التي تشترك معها في الوجود داخل متن الحكاية")3(.

و نموها داخل المتن الحكائي هو المتحكم في سير الاحداث التي يصل بها الراوي إلى غايته، وهذا النمو يتفاوت بحسب نوع الشخصية الذي يحدده تقسيم شكلي رئيس سيكون هو متن البحث إن شاء الله.

يقسم نقاد السرديات الشخصية إلى أنواع عديدة ناظرين إليها من زوايا مختلفة، فهناك من ينظر إليها من ناحيتي السلب والإيجاب كما ذكرنا، وهناك من ينظر إليها من ناحية تمظهرها الداخلي وبنائها النفسي والاجتماعي فتكون شخصية اجتماعية وأخرى نفسية، ويجوز تقسيمها من حيث واقعيتها وأسطوريتها أو رمزيتها، ولكن في كل الأحوال ينتظمها تقسيم شكلي رئيس يخص هيمنتها من عدمها في النص وهذا التقسيم هو:

1 – شخصية رئيسة

2 – شخصية ثانوية

3 – شخصية هامشية

ويجوز تسميتها أيضا بالشخصيات المركبة التي تقابل الرئيسة، والبسيطة التي تقابل الثانوية والمسطحة التي تقابل الهامشية، ولكل من هذه الشخصيات دور تؤديه، ومساحة تشغلها في النص.

---

(1) مفاهيم سردية، تزفيطان تودوروف، ت: عبد الرحمن مزيان، منشورات الاختلاف، ط 1، 2005: 73.

)2(تودورف، مفاهيم سردية: ص130

(3) العجائبي في الادب من منظور شعرية السرد، حسين علام، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1،الجزائر، 2010: ص111.

المبحث الأول

الشخصية الرئيسة من الخارج

الشخصية الرئيسة : وهي الشخصية التي تهيمن في حضورها في النص الروائي على باقي الشخصيات، من حيث إشغالها المساحة الأكبر ومن حيث اقتصار دور الشخصيات الثانوية على إضاءتها ومؤازرتها. ذلك لأن لكيفية تقديم الشخصيات في الرواية لونين اثنين فهي إما أن تكون جاهزة ثابتة أو تكون نامية متطورة (ينظر : عالم القصة في سرد طه حسين، محمد السماوي، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر صفاقص، ط1 1996 ص 46 وكانت شخصية يحيى بركات في رواية (مفقود) قيد الدراسة هي الشخصية الرئيسة، التي عنيت الرواية بتقديمها تقديما تفصيليا فكانت العناية تتجسد في وصفها من الخارج، ومن الداخل فضلا عن السماح لها بالتعبير عن موقفها من الأحداث وفيما يأتي نماذج توضح الشخصية الرئيسة، فضلا عن التعريف بها:

لقد عنيت رواية (مفقود) عناية خاصة بتقديم الشخصية الرئيسة من الخارج، ومن نماذج تبني الشخصية الثانوية مهمة التقديم ما يأتي:

" تأملته ونحن نجلس في باحة الدار، شاب أسمر في الأربعينات، وجه نظر، ممتلئ الجسد، حين يبتسم تقاطيع وجهه تشي بحزن مشوب بحياء ريفيّ خجول" (الرواية ص 14)

تؤدي هنا عينا الراوي دور الكاميرا لتلتقط التفاصيل وتقدمها بما يقنع المتلقي بأنه أزاء شخصية واقعية حية. ولا يكتفي بوصف الملامح الكبيرة بل يتعداها إلى وصف الصوت أحيانا:

" ..... يسرد بهدوء مع بحة صوتية ...." الرواية ص 15

المبحث الثاني
الشخصية الرئيسة من الداخل

لم تكتف الرواية بالاعتناء بالشخصية الرئيسة من الخارج بل صبت عنايتها أيضا على وصفها من الداخل، مستكشفة كل ما يعتمل فيها من مشاعر، و من نماذج تبني الراوي لتقديم الشخصية من الداخل والكشف عما يعتمل فيها من اضطراب أو قلق أو .. أو .. ما يأتي: تقع مهمة الوصف هنا على الراوي الخارجي :

" كان الرجل متوجسا، ومضطربا ومربكا تحت تأثير الصدمة. يخشى من نشر حكايته للصحافة كما ظن للوهلة الأولى ..." الرواية ص 13 إن هذا الوصف يتغلغل إلى عمق أحاسيسه، وهو في حالة من الرعب، والخوف من مصير أقل ما يقال عنه أنه غاية بالبشاعة، فلو وقع بيد أعدائه للاقى مصيرا مهولا.

وفي ساعات أخرى من ساعات الانقباض النفسي والرغبة في أنهاء كل شيء والتحرر من هذا الخوف حتى لو كان بالدمار والفناء يتوغل الراوي أكثر في دواخل الشخصية الرئيسة يحيى بركات ويقول:

" أشهر تتوالى والشعور بالحصر والانقباض النفسي يتحول إلى كتلة صلبة تضغط على الصدر والروح كهذه الجدران الصماء المطوقة. الإيقاع الرتيب للأشياء والحركات والصدى الخافت لمحيط مغلق داخل قوقعة هذه الجدران التي تكاد تصرخ: لقد تعبتُ من الوقوف لماذا لا أُهدَم، وتنفتح فضاءات لا محدودة تسع العالم" الرواية ص 46 إن الضيق النفسي الخانق، والإحساس بالانتهاء يسقطهما يحيى بركات على المكان الذي يقبع فيه شهورا منعزلا عن العالم، عزلة محكومة بقلق وجودي، فيتماهى مع المكان، فيتحدان بالغربة بالانعتاق والانطلاق إلى السعة وفضاء الحرية، وكما هو معروف فإن للمكان دور حيوي في الرواية من حيث تأثيره في الشخصيات، وانعكاسه عليها سلبا أو إيجابا. وهناك نموذج سردي آخر يعزز أثر المكان وإسهامه في الكشف عن داخل الشخصية، وإحساسها العميق بالخوف من مصادر القتل :

" بدت المدينة غارقة في الظلمة، وكأنها مدينة أشباح، ثمة مصابيح بعيدة خافتة الإضاءة هل هي مواقع المسلحين وثكناتهم؟ تذكرت احتلالهم لمراكز الشرطة والبلدية، وقصر المحافظ بعد تسليم المدينة إثر مقاومة محدودة، جو المدينة المحتلة خانق وكابوسي، تتموج في فضائها روائح حامضية، وكأن الفضاء رُشّ بالنفتلين، أو آثار كلور وميثان مختلطة، مع أبخرة حمضية ونفايات ممزوجة برائحة عظام مهترئة" الرواية ص 90 إن هذا الجو الكابوسي ربما يكون في داخل الشخصية الرئيسة فقط، وهي التي تسقطه على المكان، منطلقة من قناعتها بأن ما جرى خطأ جسيم بحق المدينة، وهي مدينة الرَّقة، وقد حدى به هذا المشهد للارتجاع قليلا قبل أن يحتل المسلحون المدينة ويسيطروا على كل مرافقها الحيوية. ولم يغب عن الراوي الكشف عن أحساس يحيى بركات بالزمن تحت ضغط الخوف والرعب " وحيدا أهيم في هذه المدينة لا أدري كم من الوقت مضى، وأنا أسير لأقف أمام بناية مهجورة وغير مكتملة.. الرواية 23

إن إحساس يحيى بركات بالزمن مرتبط بالضغط النفسي والتعب الجسدي الهائل ومرتبط بالمكان أيضا بوصفه الملاذ للخلاص من هذا الخطر فالزمان والمكان بيتنا مرتبطتان ارتباطا عضويا لا انفصال بينهما .. ينظر عالم القصة: 69 ولا يمكن أن يأتي المكان في أي نص سردي بعيدا عن تقنية الوصف، فهو مقترن اقترانا شرطيا بسرد الراوي ينظر : نحو رواية جديدة، الان روب غرييه تر: مصطفى إبراهيم، دار المعارف، مصر ، د.ط: 130 وهكذا يكتمل المشهد المتشكل من شخصية في ظرف نفسي ما تحت ضغط إحساس ما في مكان محدد.

المبحث الثالث

الشخصية الرئيسة و موقفها من الأحداث

لا تكتمل قيمة الشخصية في العمل الروائي إذا لم يكن لها موقف من الأحداث، فهي أداة الروائي في تقديم فكرته وهي الهدف الذي يروم الوصول إليه. وقد كان لشخصية يحيى بركات في رواية مفقود قيد الدراسة آراء ومواقف عديدة من الأحداث التي جرت على أرض واقعها المتخيل، هذا الواقع المنقول بفنية عن الواقع المعيش في فترة من أصعب الفترات التي عاشها الشعب السوري، وهو يعاني الأمرين تحت ثقل الانقسام الطائفي، والخيانات والبطش والموت والتهجير:

" فيما بعد سيسجل في يومياته: تبدو الرقة عروس الفرات الجميلة كفتاة صبية تغتصب الآن تحت سطوة الغزاة البرابرة، ورجالها ممن لا يوالونهم يعدمون رميا بالرصاص في الشوارع، والساحات والحدائق وعلى شواطئ الفرات أطفالها يؤخذون إلى ساحات التدريب ليتعلموا الرمي والقتل تحت دويّ أصوات التكبير، نساؤها وفتياتها ينتهكن تحت بدعة شريعة جهاد النكاح لقد قدموا من كل بقاع الأرض وليس في شرعتهم سوى القتل وتدمير الآثار التاريخية والأضرحة والتماثيل وكل معلم من معالم الحضارة ..." الرواية ص 40

إن الشخصية الرئيسة هنا تقوم بدور الشاهد على ما جرى، من مآسٍ وويلات وجرائم بحق الطفولة والشرف الاجتماعي، والجرائم الثقافية أيضا تلك الجرائم التي نالت كل الإنسانية من خلال تدمير الآثار التي هي ملك للإنسانية جمعاء، وعلى الرغم من المباشرة التي وقعت بها الشخصية الرئيسة في هذا الكشف إلا أنها سجلت موقفا مما جرى، يكشف عن حجم الدمار الإنساني، والبشاعة التي جاءت بها الجماعات المتطرفة، كما تكشف في الوقت نفسه عن حسها الإنساني ووعيها الجمعي.

وتؤدي الشخصيات الثانوية (نبيل وسحر) دورا في الكشف عن موقف يحيى بركات من الجندية والحرب بعد حوار مكثف:

: وسألته الفتاة عن مجرى حياته في المدينة، ومدى انسجامه مع الجو العام، وصداقاته مع الآخرين كعسكري يرون فيه منافحا عن النظام.. ودخل نبيل عبر الحوار: نحن [أصدقاؤه] نجرده من عسكريته، ونراه مدنيا مثلنا قيمة الإنسان كما تعرفين[هو] ما يحمله في داخله من أفكار، ومفاهيم وقيم لا ما يلبس من الخارج" الرواية ص 44 إن من ماهم الحوار التعريف بالشخصية، أو الكشف عنها ينظر الأسطورة في روايات نجيب محفوظ د. سناء شعلان، منشورات نادي الجسرة الثقافي الاجتماعي ص 348 وإن هذا الحوار الدائر بين شخصيتين ثانويتين أسهم في الكشف عن قناعة المثقفين الذين اضطروا للالتحاق في الجيش اضطرارا وهذا يكشف بدوره عن طبيعة الشخصية الواعية المثقفة التي تنتمي لإنسانيتها بعيدا عن الانتماءات القومية أو الطائفية الضيقة.

الخاتمة:

بعد هذه الجولة القرائية في رواية مفقود للروائي العربي السوري حيدر حيدر، وتهيئة الأسباب العلمية الواجبة، خرج البحث بعدد من النتائج هي الآتي:

1 – إن لغة الرواية بسيطة وعميقة معا، والأسلوب واضح وبعيد الدلالات، ذاك الأسلوب الذي تنطبق عليه صفة السهل الممتنع.

2 – للروائي قدرة فائقة على بناء رواية متكاملة، وقد أعطى لكل شخصية، دورها على وفق طبيعتها، أي كان للشخصية الرئيسة مساحتها الوافية، وكذلك كان للشخصيات الثانوية أدوارها الملائمة.

4 – أدى كل من الحوار والوصف ادوارهما وأسهما – فضلا عن تحقيق الإيهام بواقعية ما جرى في الرواية– في الكشف عن الشخصيات.

5 – كان التأثير والتأثر بين كل من الشخصية الرئيسة من ناحية والمكان والزمان من ناحية بعد تأثير الأحداث بهم جميعا، قائمين بوضوح ما منح الرواية عمقها الدلالي والجمالي.

6 – أدانت الرواية كل أنواع التطرف، وكانت رسالة واضحة مفادها أن في الصراعات الطائفية والإثنية كل الخراب والموت